

التجريب في رواية "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" لأحمد سعداوي
Experimentation in the Novel "He Dreams, Plays, or Dies"
by Ahmed Saadawi

فريال تواتي*

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

faryal.touati@univ-oeb.dz

تاريخ الإرسال: 2026/03/05	تاريخ التقييم: 2026/05/22	تاريخ القبول: 2026/06/10
---------------------------	---------------------------	--------------------------

الملخص:

سعت الرواية العربية المعاصرة عبر التجريب وتمظهراته المختلفة إلى تجاوز الأساليب التقليدية السائدة، وكسر النمطية المتعارف عليها، وذلك بتقديم نص سردي جديد متغير على مستوى الشكل والمضمون ينم عن وعي الخرق والتمرد على كل ما هو تقليدي. تأسيسا على هذا جاءت هذه الدراسة من أجل البحث عن تجليات التجريب في النص الروائي العربي المعاصر؛ وذلك من خلال السعي إلى دراسة رواية "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" للروائي أحمد سعداوي كنموذج روائي عربي معاصر للدراسة، منطلقين في ذلك من الإشكالية الآتية: كيف تمظهر التجريب في رواية "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" للروائي أحمد سعداوي؟.

كلمات مفتاحية: الرواية؛ العربية؛ المعاصرة؛ التجريب؛ تجاوز؛ كسر.

Abstract:

The contemporary Arab novel has endeavored, through diverse forms of experimentation, to move beyond dominant traditional methods and to break with established conventions. It offers an innovative and dynamic narrative text, both in form and content, reflecting a deliberate awareness of transgression and a spirit of rebellion against conventional literary norms.

Drawing on this perspective, the present study explores the manifestations of experimentation in the contemporary Arab novel. It does so through the examination of the novel "He Dreams, Plays, or Dies" by Ahmed Saadawi as a representative model of contemporary Arab novel. The study is guided by the

following research question: How is experimentation manifested in Ahmed Saadawi's novel *"He Dreams, Plays, or Dies"* ?.

Keywords : novel, Arab, contemporary, experimentation, to move beyond, to break with.

*المؤلف المراسل:

1. مقدمة:

عمدت الرواية العربية المعاصرة إلى خرق وكسر كل طرق وأساليب السرد التقليدية، بل وعملت على تحطيم كل قيود التمسك بالشكل التقليدي المعهود، مستحدثة بذلك أطر وأساليب أخرى جديدة عبر اعتمادها للتجريب كفعل يحقق لها هذا الاستحداث والتجديد. ظهرت في الساحة الأدبية العربية المعاصرة عديد من الروايات التي استجاب من خلالها كتابها لفعل التجريب متخذين إياه أداة ووسيلة لتشكيل نماذج روائية عربية معاصرة متميزة بطابع وأساليب سردية جديدة تواكب روح العصر، ولعل رواية " إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" للروائي أحمد سعداوي تعد أحد أبرز النماذج الروائية التي برز فيها التجريب عبر مستويات ومظاهر مختلفة.

من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتتبع مختلف آليات التجريب الموظفة في رواية " إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" للروائي أحمد سعداوي منطلقين في ذلك من الإشكالية الآتية: ما هي أبرز آليات التجريب الموظفة في رواية " إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت"؟.

2. الرواية والتجريب:

يجدر بنا بداية قبل الوقوف عند دلالات "الرواية والتجريب" الإشارة إلى أن مصطلح التجريب قد عرف أولاً في "المجال العلمي قبل استثماره في مجالات الفن والأدب، حيث ارتبط مصطلح التجريبية Expérimentation بنظرية التحول عند تشارلز داروين الذي استعمله بمعنى التحرر من النظريات القديمة"¹، لينتقل هذا المصطلح ويشمل مجالي الفن والأدب، ويعد اميل زولا Emile zola "أول من استخدم مصطلح التجريب في الأدب...في كتابه المعروف (الرواية التجريبية)، بحيث ربطه بالرواية، وكان هذا الاستعمال مرتبط بمشروع زولا الذي يهدف إلى تقنين المذهب الطبيعي للوصول إلى فكرته العلمية في الأدب، أو خضوع الأدب للإجراءات العلمية"².

تشير الكثير من الدراسات أن "التجريب قرين الإبداع؛ لأنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المؤلف ويغامر في قلب المستقبل"³؛ أي أن التجريب في الإبداع هو خروج عن النمطية وعن السائد، وتجاوز التقليد، والمغامرة والبحث عن الجديد.

ولما كانت الرواية تشكل نوع أدبي "قابل للخرق باستمرار... والبحث عن صيغ جديدة"⁴، هذا الأمر دفعها لأن تحقق "إستراتيجية نصية لها طرائقها الفنية، وتقنياتها الجمالية ورهاناتها الإبداعية، وهذا ما يعرف اليوم بالتجريب الروائي"⁵؛ ومنه فالتجريب الروائي يعد تجاوز وتمرد مستمر لكل ما هو سائد، متوسلا في ذلك جديداً إن على مستوى الشكل أو المضمون.

وفي ظل هذا الخرق والتجاوز والبحث المستمر عن التجديد وعدم الثبات الذي تعيشه الرواية في ظل التجريب برزت العديد من مظاهر التجريب الروائي نذكر منها "تحطيم خطية السرد وتكسير الزمن، بحيث لم يعد الروائي مجبراً بأن يحكي الحكاية من أولها لآخرها متبعاً التسلسل الزمني، بل صار بالإمكان اللعب بالأحداث دون وضع اعتبار لتسلسلها الزمني ليجد المتلقي نفسه في متاهة سردية لا بداية لها ولا نهاية"⁶، ومن أشكال التجريب الروائي أيضاً نجد: تعدد الشخصيات، وتعدد اللغة داخل النص الروائي الواحد، بل ونجد من أبرز مظاهر التجريب الروائي أيضاً تداخل الرواية والأجناس الأدبية الأخرى كالشعر والأسطورة، بل وخطابات أخرى غير أدبية كالتاريخ والسينما وغير ذلك.

3- تمظهرات التجريب في رواية "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت":

3-1- عتبة العنوان:

تكتسب عتبة العنوان "أهمية بالغة في الدرسين النقدي والأدبي، لما لها من مكانة في العتبات النصية الداخلية والخارجية، ولما تحمله من قوة دالة على النص، فالعنوان مفاتيح للأعمال والنصوص الأدبية، كونها حاملاً للقراءات الدلالية المفضية إلى مكونات المدونات والموضوعات، بل وتفرض سلطتها في تعيين نوعيتها، وماهيتها ورسم محاورها وتشكلاتها"⁷، ومنه فالعنوان حظي بهذا الاهتمام؛ وذلك باعتباره يمثل المفتاح الأولي لكشف خبايا النصوص وما تحمله من دلالات وإيحاءات.

اعتمد الروائي عنوانا جاء مركبا من وحدات لغوية محملة بدلالات وإيحاءات ، خاصة وأنه اعتمد ثلاث كلمات (الحلم/ اللعب/ الموت) جعلت من العنوان يحمل مفارقة تثير ذهن المتلقي لاستكناه دلالاته:

-الحلم: وهو في دلالاته يحيل إلى الهروب من الواقع إلى عالم متحرر من القيود.

-اللعب: جاء هو الآخر هنا محملا بدلالات رمزية يتوسل منها الروائي التعبير عن حالة نفسية توحى بالمرآغة والعبثية والهروب من الواقع الأليم.

-الموت: وهو هنا استخدم كرمز يشير إلى واقع مليء بالعنف والقتل والدمار الذي عاشه بطل الرواية بصفة خاصة ومنه شخصيات الرواية بصفة عامة.

ومنه فالعنوان "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" جاء محملا بدلالات نفسية عميقة تثير في ذات القارئ العديد من التساؤلات وتدفعه للغوص في مكامن النص الروائي لاستكناه دلالاته، خاصة وأن جل دلالاته أحالت إلى رمزية نفسية تشير إلى الهروب من الواقع، وبذلك يمكن القول أن الروائي قد أجاد في كسر أفق التوقع وذلك لاعتماده على مظهر من مظاهر التجريب الروائي والذي تجلى من خلال تقديمه لعنوان حمل بين طياته عديد من المفارقات والتناقضات التي تثير التساؤل وتكسر رتابة ونمطية العناوين التقليدية.

2-3- التجريب والبنية السردية:

3-2-1- التجريب وبنية الشخصية:

تعد الشخصية أحد "أبرز المكونات التي يقوم عليها العمل السردى، حيث يعدها النقاد المحرك الأساسي في بناء الرواية والعمل الذي يؤهلها إلى النجاح والتميز، فالشخصية تلعب الدور البارز في تطور الأحداث"⁸، وتوليدها، ومنه فهي تشكل العنصر الفعال لجميع مكونات البناء السردى، وبدونها يفقد السرد قيمته.

إن قارئ رواية "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" يلحظ براعة الروائي أحمد سعداوي في استثمار آليات وتقنيات التجريب الروائي في تشكيله لبناء شخصيات روايته، يظهر ذلك خاصة من خلال اعتماده لأبرز صيغ التجريب الروائي ممثلة في تعدد الشخصيات/ تعدد الأصوات. لعل الشيء المميز الذي وظفه الروائي في ضوء التجريب معتمدا في ذلك تعدد الشخصيات هو تقديمه لشخصيات روايته المحورية كل واحدة بفصل تتفاعل مع بعضها مع شخصيات ثانوية أو مساعدة أخرى على النحو الآتي:

-شخصية نديم: وبعد الشخصية المركزية في الرواية، حمله الروائي بعدد من الأبعاد، فهو ضحية الحرب والهزيمة، التي عاشتها العراق في أزمتها مع إيران والكويت والغزو الأمريكي، وهو أيضا ضحية الانكسار والحرمان العائلي، حرمان حنان الأب وحرمان وجود الأخ حميد المهاجر إلى الغرب. تأرجح حضوره في النص الروائي ما بين حديث يسرد من خلاله مآسيه وواقع حياته، من ذلك نستحضر قوله في نص الرواية: "كنت وحيدا، كما كنت دائما، أو أنني هكذا لأنني أرغب بالقبض على ذاتي معزولة من أي شيء"⁹: يختصر نديم عبر سرده هذا شدة المعاناة وحدة المأساة التي يعاني منها، يظهر ذلك خاصة من خلال اختياره لألفاظ تبرز شدة وعمق الألم الذي يعاني منه والذي سبب له شعور بالوحدة ظل مرافقه، بل وجعله يسقط أسير وراغبا في الوحدة.

هذا ونجد الروائي في جانب آخر من الرواية يجعل من نديم شخصية مليئة بالتخيلات بل ومبتكرة للعبة الأحلام ومنها أحلام اليقظة ساردا من خلالها حكايات لشخصيات يعيش معها، بل ومعبرا من خلالها عن المعاناة التي تعيشها شخصيات الرواية خاصة في ظل الواقع المتأزم بالحروب والمآسي.

-شخصية عبود: وهو شخصية متخيلة تأتي في أحلام نديم وتتكلم على لسانه أحيانا، وهذا الاعتماد يعد من أبرز ميزات التجريب الروائي الذي تميز به الروائي في نصه، من ذلك نمثل بما جاء في الرواية: "أنا عبود...كما رغب حميد بمناداتي تلك الليلة داخل حلم نديم، أنا القناع الرابض تحت يده...أنا وحدي من يؤرشف سهراته السباعية...أنا الشاهد على ثرائته الطويلة"¹⁰.

-شخصية حميد: أو هاميت كما أطلق عليها في المهجر (أمريكا) وهو أخ نديم ويعد شخصية محورية أيضا في نص الرواية، عكس من خلاله الروائي واقع الإنسان العراقي الذي يعيش العديد من الأزمات كان من أبرزها خاصة تلك الحروب التي خرب الأرض والنفوس، تلك الحروب التي تسببت له بالألم جسيمة كان منها خاصة بترساقه، جاء في نص الرواية حديث نديم عن الواقعة التي ألمت بأخيه حميد: "هذا المكان الآخر هو ما اكتشفه فيما بعد، حين أطاح على واحد من الألغام الخفية، ...وبسبب ذلك قطعت ساقه من وسط الفخذ"¹¹، إن هاته المعاناة التي عاشها حميد وتسببت بقطع ساقه جعلته هو الآخر يقع أسير الأحلام جاء

في نص الرواية: "دخل في حكاية هي أهم منه بكثير، غدا - بسبب ساقه المقطوعة- برغيا مناسباً في آلة الحكاية الكبيرة. حدث ذلك في السنة الأولى لعوقه، في ردهات مستشفى الرشيد العسكري، كان رأسه يزدحم في تلك الفترة أثناء النوم بصور لشوارع وأزقة غريبة يتجول فيها وكأنه يسبح على الأرض بخطوات ناعمة... وكان يخطو خطواته الناعمة تلك بساقه اليمنى دائماً، بساقه التي فقدتها"¹²؛ يظهر لنا هذا المقطع السردى أن الألم النفسى الذى عاشه حميد نتيجة بتر ساقه دفعه لأن يبتكر أحلاماً يتحرر فيها من هذا الألم ويعيش فيها بكل هدوء مبتكراً في ذلك عبر الأحلام أرض ناعمة يسير فيها بساقه السليمة بكل هدوء وراحة دون ألم أو عذاب.

هذا وقد ركز الروائي في تقديمه لشخصية حميد على تقديم صورة المهاجر إلى أرض الآخر وبالتحديد غربة حميد في عمان وخاصة أمريكا¹³، ففي ظل الأزمات التي تعيشها العراق والتي تسببت بالآلام كبيرة لشعبها، وهو ما عكسته الرواية التي صورت لنا أزمة حميد من بتر الساق بل وإدمانه للمشروب، كل هاته الأسباب وغيرها دفعت حميد للهروب من وطنه باحثاً عن نفس جديدة يعيش بها هدوء وراحة.

-شخصية كبير المنضدين: شكل هو الآخر شخصية محورية في الرواية، فقد خصص له الروائي فصلاً كاملاً من روايته إلى جانب صفحات أخرى من الرواية، عرفنا من خلالها بهاته الشخصية وبعملها في التنضيد بالجريدة، وعبر الروائي من خلاله أيضاً عن صورة العراقي المهاجر الطامح للعودة إلى أصله وموطنه العراق، فرغم تحمله على منحة دراسية إلى تشيكوسلوفاكيا والعديد من الامتيازات الأخرى، إلا أن الشعور والإحساس بالعودة ظل يرافقه رغم ما ينتظره من واقع مخرب بل من موت محتمل جداً في ظل وطن يعيش الحروب، يقول: "ما الذي جعلني أقرر فجأة أن أنهي هذه الحياة، وأعود إلى بغداد؟ إنها ليست الحكمة بالتأكيد...إنني أشيخ وعلي الآن أن أغدو أكثر تواضعاً مع تلك الهواجس الممضة التي قمعتها طويلاً"¹⁴، ويضيف قائلاً أيضاً: "هؤلاء الأصدقاء، ويعرفون أن لي حياة أخرى تناديني برسائلها التخاطرية الغامضة أثناء الليل، تناديني حتى أنهم، وعلي الآن أن أستجيب أو أتعذب أكثر. تم توديعي في المطار مثل شهيد، مثل تابوت يتقدم إلى خانة البضائع في الطائرة العائدة إلى ديارى"¹⁵؛ نستطيع القول هنا إن شخصية كبير المنضدين عاشت هي الأخرى كوابيس وأحلام ظلت ترافقها وتراود فكرها دافعت بها للعودة إلى الوطن رغم المآل المأساوي المنتظر.

-شخصية صاحب المكتب: وظف الروائي هذه الشخصية ليعبر من خلالها عن حال الإنسان الذي سلبت منه حقوقه، أبسطها حق التسمية جاء في نص الرواية: "أنا صاحب المكتب، لقد تم سلب اسمي هنا، وهو آخر شيء تبقى لدي كما ترون...حتى هذا المكتب الذي استطعت شراءه بمصالحة بيني وبين أختي التي أكلت بيتي....الدولة نفسها لم تكن تنتظر عودتي، فالراتب التقاعدي الذي خصصته لي لم يمكنني في يوم ما من شراء دجاجة. اللاأحد فقط كان ينتظرني"¹⁶؛ يظهر هذا المقطع مأساة صاحب المكتب الذي سلبت منه كل حقوقه من الاسم، والأموال بل والعائلة أيضا هذا ما جعله يقع أسير الوحدة والتعاسة، بل ونجد الروائي يصور لنا من خلال هاته الشخصية حجم وعمق المعاناة والقهر النفسي الذي يولم بالإنسان ويجعله يعيش في أوهام وتخيلات هاربا بذلك من واقعه الذي دمر، من ذلك نمثل بما جاء في الرواية: "كان علي أن أرتدي شخصا آخر، تملك هيأته قوة الحقيقة، وليس لها علاقة برأسي الخرب، وهذا ما اندفعت نحوه حينها، لقد تلبستني صورة سائق الحافلة تماما"¹⁷؛ فالروائي هنا يظهر لنا كيف تحررت الشخصية من ذاتها وتلبست شخصية أخرى رأت فيها سبيلا يخرجها من الدمار والخراب الذي حل بها.

-شخصية سائق التاكسي: ويعد أحد الشخصيات التي ركز عليها الروائي في ضوء تعبيره عن واقع الحرب والدمار ملبسا إياها شخصية الهروب ومحاولة النجاة من حقل الألغام على الحدود والعودة إلى المدينة وامتهان أي مهنة تختاره لأجل الحفاظ على سلامته، جاء في نص الرواية: "أنا سائق التاكسي...أنا ضابط متقاعد بعد أن تحلل الجيش كيميائيا وعاد إلى عناصره الأولية: رجال، وأرض، وأسلحة تلاشت أو تحولت إلى خردة غير مفيدة. ولكنني لم اختر ذلك...لذا أنا سائق التاكسي التي اختارتني أليس كذلك؟"¹⁸.

وإلى جانب هاته الشخصيات المحورية التي احتلت مركزا محوريا في نص الرواية بجانب شخصية نديم المركزية، وظف الروائي شخصيات أخرى كان لها حضورا بارزا في نص الرواية وجاء ذكرها على لسان نديم وفي بعض من أحلامه نذكر منها:

-شخصية يار الله: وهو والد نديم وحميد، الذين عانى منه أولاده كثيرا لقلة اهتمامه بهم، بل ولعنفة اللفظي اتجاههم، ما جعل نديم يشعر بالقهر خاصة وهو يرى المعاملة الجيدة التي يتعامل بها محمود الفيلي مع ولده مصطفى، هذا الأمر دفعه إلى عقد مقارنة بين والده يار

الله ووالد مصطفى يقول: "كان أبوه يبتسم، ولم أرى الله يفعل ذلك في يوم ما، وبدلاً من انفراجة مجانية لا تكلف شيئاً على شفثيه واسترخاء ملامحه كان مشدود الوجه دائماً، ولديه مشكلة كبيرة في كل وقت وحين... وهذا ما يبدو أبعد شيء عن أبي مصطفى، الذي تمنيت ذات ليلة وأنا أغالب إغفاءة ثقيلة أن يكون والدي أنا"¹⁹.

-شخصية بنية: والدته نديم وحفيد، عرج الروائي في نص روايته على التعريف بدلالات اسمها والذي حمل دلالات معبرة عن عادات وحكايات أهل العراق: "يكرر أمام الآخرين حكاية اسم والدته الذي يرتبط بنوع مألوف من أسماك النهر العراقية، العراقيون ينظرون إلى هذه السمكة على أنها الأجمل في النهر، وبعض أجمل البنات كانت تسمى في الجنوب العراقي بـ(بنية)"²⁰، هذا ونجد الروائي عبر شخصية بنية صور لنا مآسي المرأة العراقية من معاناتها في أسرتها وفي مجتمعها ووطنها الذي يعاني ويلات الحرب والدمار، إلى أن توفيت نتيجة قصف أمريكي على العراق.

وفي ضوء التجريب الروائي المتجلي في نص الرواية نلاحظ أيضاً وجود شخصيات أخرى تنوع حضورها ما بين تمثيل في أحلام نديم وحديثه عنها، وأحياناً أخرى يترك لها الفرصة لتعبر عن ذاتها، من ذلك نذكر²¹: مصطفى الفيلى، جاسب مشخوط، الرفيق، لورسان، حمدان،... إن ما يمكن قوله عن تمثيل التجريب عبر بنية الشخصية في نص رواية "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" لأحمد سعداوي هو أن أغلبها وقعت أسيرة التخيلات والأحلام التي كان تراودها، وإن كانت شخصية نديم تعد من أكثر الشخصيات التي عملت على ابتكار لعبة الحلم واتخاذها وسيلة للتعبير عن الكثير من القضايا ومنه عن كثير من شخصيات الرواية، هذا واجتمعت معظم الشخصيات أيضاً على فكرة الموت هذا الأخير الذي رافقهم طيلة الرواية بسبب تلك الأوضاع المأساوية والحروب التي كانت تعاني منها العراق.

3-2-2- التجريب وبنية المكان:

حظي المكان في الرواية بأهمية كبيرة وذلك لكونه "يمثل مكوناً محورياً في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان وزمان معين"²²؛ من هنا اكتسب المكان قيمة كبيرة في بنية السرد ومنه الرواية لما له من خصائص وسمات تساهم في إيصال ما تسعى الرواية إليه.

عمد الروائي أحمد سعداوي على تقديم المكان في نص الروائي "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" وذلك بتحميله أبعادا درامية مأساوية جسد من خلاله الروائي ويلات الحرب والدمار الذي عاشته العراق بل والتخريب والموت الذي عانى منه الشعب العراقي من ذلك نمثل بما جاء في الرواية على لسان نديم: "سمعت صوت مروحية على ارتفاع واطء تخطف مسرعة فوق البيت، كان صوتها حادا ومفزعا مما جعلني أنهض جالسا في فراشي. ارتجت الجدران لصوت قذيفة أو صاروخ أطلقتته إحدى الطائرات وسقط قريبا منا"²³؛ يقدم هذا المقطع السردى صورة مأساوية للمكان (البيت) الذي ارتجت جدرانه بسبب القذائف والصواريخ التي تطلقها الطائرات على العراق ما جعل نديم يشعر بالخوف والفرع، فالمكان (البيت) عبر هذا المقطع السردى تحول من مكان راحة إلى مكان فزع وخوف مرتقب بسبب حرب عملت على نسف كل البيوت بدون رحمة.

ويحضر المكان بدلالاته المأساوية في نص الرواية أيضا عديد المرات من ذلك نمثل بقول الروائي على لسان نديم: "انسدحت عائدا إلى النوم، أو أنني دخلت في ذلك من دون تخطيط، حين ارتج البيت بشدة مرة أخرى إثر انفجار أكثر حدة. سقطت صورة حميد ذات الإطار الخشبي السميك من الحائط فوق رأسي تماما مع كامل المكتبة العالية، فلم أع أي شيء بعدها. كانت أشياء أخرى قد سقطت، ملابس وأواني معدنية، سقطت الوسائد والأفرشة من على خزانة بنية وهوت في وسط غرفتها. وسقط جزء من الجدار المائل للجيران على بنية وهي تستعد للتهوض"²⁴؛ فمن خلال تصوير بانورامي درامي رصد لنا الروائي إحدى أبرز الصور المأساوية للمكان المخرب بفعل تلك الطائرات الحربية، فالروائي عبر هذا المقطع السردى قدم تصويرا دقيقا لحال البيت الذي أضحى بسبب الحرب مكانا مدمرا بل وصار مكانا مرعبا يهدد أصحابه بالموت في أي وقت.

هذا ونجد الروائي أحمد سعداوي يقدم عبر روايته "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" بعدا آخر مغايرا للمكان؛ يظهر ذلك من خلال تلك التخيلات والأحلام التي راودت نديم وبعضا من شخصيات الرواية، فالروائي عمد على جعل المكان جزءا من تلك الأحلام التي راودت شخصيات روايته لعلنا نمثل هنا بما جاء قوله على لسان نديم في حلمه: "أنا الآن مغفى عليه، مثلما أردت بالضبط. لقد خرجت كل كوابيسي من رأسي دفعت واحدة وبدأت تتجول

بين الأزقة والشوارع في مدينتي، سأرى نفسي إذن بخوذتي ترابية اللون...ستمتلئ الأزقة بالمياه القدرة، فأرى للمرة الأولى، تلك الجثث الطافية التي تعلوها الحشائش مثل محطات استراحة لطيور السميحي البيضاء. وتمتلئ الشوارع برؤوس قطعها الموت الكثير"²⁵؛ عبر حلم نديم جسد لنا الروائي صورة أخرى من صور المكان المحمل بأبعاد مأساوية تعبر عن حال العراق ببيوتها وشوارعها المخربة والمدمرة بفعل حرب عملت على تدمير العراق وتشويه مناظرها وشوارعها وجعل كل مكان فيها صورة مشوهة مخربة بل صار كل مكان فيها مكان تفوح منه رائحة الموت والخراب.

ويتجلى حضور المكان المتخيل عبر الأحلام مرة أخرى في نص الرواية من خلال سرد نديم لتلك الأحلام التي كانت تأتي حميد في الفترة التي بترت فيها ساقه يقول: "حدث ذلك في السنة الأولى لعوقه، في ردهات مستشفى الرشيد العسكري، كان رأسه يزدحم في تلك الفترة أثناء النوم بصور لشوارع وأزقة غريبة يتجول فيها وكأنه يسبح على الأرض بخطوات ناعمة. كانت أماكن بالغة الهدوء، وذات كثافة حميمة يجللها ضوء متناثر المساقط، لا يعرف من أين يبرز، يضاعف من هدوء وسكينة هذه الشوارع والأزقة الغريبة، وكان يخطو خطواته الناعمة تلك بساقه اليمنى دائما، بساقه التي فقدتها"²⁶؛ إن الألم والشعور بالأسى في عمق النفس بسبب بتر الساق جعلت حميد ينساق ويبتكر لعبة الأحلام ليعيش فيها بعضا من الراحة والسعادة، فالمكان المتمظهر في أحلام حميد جاء بصور حملت دلالات الراحة والهدوء، مكان رغم غرائبية شوارعه إلا أنه جعل حميد يشعر بجو من السكينة .

3-2-3- التجريب وبنية الزمن:

يعد الزمن "عنصرا أساسيا في العمل الروائي، إذ لا يمكننا تصور العملية السردية دونه؛ من حيث تسليطه الضوء على الحياة والأحداث التي تعيشها الشخصية داخل النص"²⁷ الروائي.

عمد الروائي في ضوء التجريب على كسر كرونولوجية الزمن؛ وذلك باعتماده لأحد أهم آليات التجريب في الزمن ممثلة في الاسترجاع والاستباق:

- الاسترجاع: احتل الاسترجاع في النص الروائي موقع الصدارة فالمتتبع لأحداث الرواية يجد أن الروائي انساق عبر شخصياته وخاصة شخصية نديم على استرجاع العديد من الأحداث، من ذلك نمثل بقول نديم: "كنت أستعيد كمن يحرك شريطا سينمائيا متأكلا، التفاصيل

نفسها، والكلام نفسه، ذلك الذي دار بيني وحميد. أستعيد حكاياته، وأقلب مرة بعد مرة كل شيء في هذا الوعاء الكبير الذي أسميه حياتي²⁸؛ عبر هذا المقطع يبرز الاسترجاع من خلال تذكر نديم للأحداث التي جرت مع حميد، ملبسا في ذلك الروائي هذا الاسترجاع حملات وأبعاد نفسية عميقة تصور الألم الذي يعتصر ذات نديم في كل مرة يتذكر أحداثه مع أخيه حميد.

وبرز الاسترجاع في ثانيا النص الروائي أيضا من خلال استرجاع نديم للذكريات القديمة يقول: "وجدتني أستعيد شريط اللحظات الأخيرة قبل انهدام البيت على رأسي ورأس بنية. لم أكن قلقا تجاه شيء، ولم أفكر ببنية ومصيرها، كانت سكينه الموتى ترقد على صدري"²⁹؛ إن هذا المقطع السردى يؤكد استمرار الروائي على تحميل زمنه الاسترجاعي دلالات نفسية تعبر عن عمق وقهر الذات والإحساس بالدمار والخراب بل بالموت الذي صار جزءا من حياة الإنسان العراقي.

-الاستباق: يحضر الاستباق في نص الرواية عبر أحلام اليقظة التي كانت تراود نديم، من ذلك نمثل بقوله: "كنت أحلم كل مساء، وبشكل لا إرادي، أن حميد سيرسل بطلي...ستموت بنية، وأبقى وحدي، وعندها سيهاتفني حميد ليخبرني أن تذكرتي مع مبلغ مالي تنتظرني في أحد مكاتب السفريات في حافظ القاضي"³⁰؛ نلاحظ عبر هذا المقطع السردى اعتماد الروائي على استباق زمني مسقطا عليه بذلك هو الآخر دلالات نفسية، تمثلت في حزن نديم وانتظاره الذي طال، ما جعله يبتكر لعبة أحلام اليقظة يستبق بها الأحداث: موت والدته بنية، وإرسال حميد لتذكرة السفر مع مبلغ مالي.

3-3- التجريب واللغة:

جنح الروائي أحمد سعداوي في بعض من صفحات نصه الروائي "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" إلى تجريب شكل لغوي جديد تمثل في ظاهرة التعدد اللغوي من خلال توظيفه للغة عامية تتداخل مع اللغة الفصحى، لعلنا هنا نمثل ببعض المقاطع السردية التي استعان فيها بلغة عامية بجانب اللغة الفصحى نذكر: حديث بنية مع أحد شخصيات الرواية الذي يسألها عن مكان ابنها حميد لتجيبه: "يمه زغير..حميد مسافر..راح لعمان يمه"³¹، وتبرز اللغة العامية أيضا من خلال حديث يار الله مع ابنه حميد بعد أن بترت ساقه: "موكلتلك اتزوج..هسه منو

ترضه ببك وانت هيج؟؟³²؛ إن هذا التوظيف للغة العامية وتحديدًا اللغة العامية العراقية من خلال استخدام كلمات يكثر استعمالها في المجتمع العراقي إنما أراد منه -توظيف للغة العامية- الروائي التعبير عن واقع المجتمع الذي يعاني الألم والخراب والدمار بكلمات تصف بدقة دلالات هذا المآل الذي صار واقع الإنسان العراقي المقهور.

4-خاتمة:

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نجملها في الآتي:
-تعد رواية "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" للروائي أحمد سعداوي أحد أبرز الروايات العربية المعاصرة التي تجلت فيها العديد من آليات التجريب عبر مختلف المظاهر، وبذلك فهي تمثل النموذج المستجيب للتحويل والتغيير وكسر التقليد.
-يظهر التجريب في النص الروائي "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" منذ العتبات الأولى للرواية ممثلة في العنوان؛ هذا الأخير الذي جاء بصيغة توحى بالاختلاف والتميز عما كان يعتمد عليه من قبل من عناوين.

-يحضر التجريب في بنية النص الروائي "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" من خلال تقديم كل من الشخصيات والمكان والزمان بطريقة مغايرة للنموذج التقليدي، يظهر ذلك من خلال اعتماد الروائي على تعدد الشخصيات، جعل المكان أداة لنقل المضامين وتمرير أبعاد دلالية وإن ارتكزت في أغلبها على دلالات نفسية تصور الواقع المأساوي الذي تعيشه العراق نتيجة الحرب والخراب الذي مرت به، هذا ونجد الروائي عرج على تقديم الزمان هو الآخر بطريقة كسر من خلاله تراتبية الزمن مستحدثًا بذلك زمن متشظي بين استرجاع واستباق للأحداث.
-جنح الروائي في روايته "إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت" إلى تقديم بعد آخر لحضور التجريب في نص الرواية تمثل في اعتماده لأحد آلياته ممثلة في استخدام التعدد اللغوي، والذي تجلّى من خلال اعتماده بجانب اللغة العربية الفصحى لغة عامية وتحديدًا العراقية نقل من خلالها حال الإنسان العراقي الذي يعاني الآلام والأحزان وسط عراق مخرب ومدمر بسبب الحرب .

5-الهوامش:

¹- عيدات نصيرة ، عليي فضيلة، (2022)، مظهرات التجريب الروائي في الرواية النسائية الجزائرية، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مج: 5، ع: 1، ص: 260.

- ²⁻ إدير ورودة ، رحيم يوسف ، (2025)، تمظهرات التجريب وانعكاساته في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية شبح الكاليدوني لمحمد مفلح، مجلة اللغة الوظيفية، مج: 12، ع: 1، ص: 324.
- ³⁻ فضل صلاح ، (2005)، لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر، القاهرة- مصر، ص: 3.
- ⁴⁻ متلف آسية ، (2018)، تجليات التجريب الروائي في رواية "ليالي إيزيس كوبيا" لواسيني الأعرج، مجلة أمارات، مج: 2، ع: 2، ص: 40.
- ⁵⁻ المرجع نفسه، ص: 40.
- ⁶⁻ عيدات نصيرة ، عليي فضيلة، تمظهرات التجريب الروائي في الرواية النسائية الجزائرية، ص: 261.
- ⁷⁻ كركود أحلام ، مردف سعد ، (2025)، رمزية العنوان وجماليته في ديوان "حروف وحروق" ليوسف بديدة، مجلة علوم اللغة العربية وأدائها، مج: 17، ع: 1، ص: 25.
- ⁸⁻ براهي يميني ، (2021)، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة (رواية الصدمة لياسمينه خضرا أنموذجا)، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي تندوف- الجزائر، مج: 5، ع: 1، ص: 63.
- ⁹⁻ سعداوي أحمد ، (2015)، إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت، منشورات الجمل، بيروت- لبنان، ص: 45.
- ¹⁰⁻ المصدر نفسه، ص: 18.
- ¹¹⁻ المصدر نفسه، ص: 70.
- ¹²⁻ المصدر نفسه، ص: 74 - 75.
- ¹³⁻ ينظر : المصدر نفسه.
- ¹⁴⁻ المصدر نفسه، ص: 152.
- ¹⁵⁻ المصدر نفسه، ص: 154.
- ¹⁶⁻ المصدر نفسه، ص: 30.
- ¹⁷⁻ المصدر نفسه، ص: 32.
- ¹⁸⁻ المصدر نفسه، ص: 36.
- ¹⁹⁻ المصدر نفسه، ص: 49.
- ²⁰⁻ المصدر نفسه، ص: 110.
- ²¹⁻ ينظر : المصدر نفسه.
- ²²⁻ بوعزة محمد ، (2010)، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة- الجزائر، ص: 99.
- ²³⁻ سعداوي أحمد ، إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت، ص: 40.
- ²⁴⁻ المصدر نفسه، ص: 40.
- ²⁵⁻ المصدر نفسه، ص: 41 - 42.
- ²⁶⁻ المصدر نفسه، ص: 74 - 75.
- ²⁷⁻ عموري السعيد، (2021)، بنية الزمن في الرواية السعودية (شرق المتوسط) لعبد الرحمان منيف أنموذجا، مجلة دفاتر البحوث العلمية، مج: 9، ع: 1، ص: 820.
- ²⁸⁻ سعداوي أحمد ، إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت، ص: 9.

29- المصدر نفسه، ص : 45.

30- المصدر نفسه، ص : 8.

31- المصدر نفسه، ص: 69.

32- المصدر نفسه، ص : 71.

6- قائمة المصادر والمراجع:

أولاً-المصادر:

1- سعداوي أحمد ، (2015)، إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت، منشورات الجمل، بيروت- لبنان،

ثانياً-المراجع:

أ-الكتب:

1- بوعزة محمد ، (2010)، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة- الجزائر.

2- فضل صلاح ، (2005)، لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر، القاهرة- مصر.

ب-المقالات العلمية:

1- إديروردة ، رحيم يوسف ، (2025).تمظهرات التجريب وانعكاساته في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية شبح الكاليدوني لمحمد مفلح، مجلة اللغة الوظيفية، مج: 12، ع: 1.

2- براهي يمينه ، (2021) بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة (رواية الصدمة لياسمينه خضرا أنموذجا)، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي تندوف- الجزائر، مج: 5، ع: 1.

3- السعيد عموري ، (2021) بنية الزمن في الرواية السعودية (شرق المتوسط) لعبد الرحمان منيف أنموذجا، مجلة دفتار البحوث العلمية، مج: 9، ع: 1.

4- عيدات نصيرة ، عليلي فضيلة، (2022)، تمظهرات التجريب الروائي في الرواية النسائية الجزائرية، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مج: 5، ع: 1 .

5- كركود أحلام ، مردف سعد ، (2025)، رمزية العنوان وجماليته في ديوان "حروف وحروق" ليوسف بديدة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج: 17، ع: 1.

6- متلف آسية ، (2018)، تجليات التجريب الروائي في رواية "ليالي إيزيس كوبيا" لواسيني الأعرج، مجلة أمارات، مج: 2، ع: 2.